معارف
ISSN 1112-7007
EISSN 6804 -2600
المجلد 14/ العدد 2 (ديسمبر 2019): ص.ص:530- 550

متعة المتلقي في القصيدة الممنوعة بمرسوم.. سلطاني. ... !؟!.لابن الشاطئ

The receiver's joy in the forbidden poem by a Sultan Act to Ibn Shatie

بشير مديحة*

Bachir Madiha*

كلية الآداب واللغات- جامعة البويرة، الجزائر. madihaacharif@gmail.com

تاريخ الاستلام: 2018/04/16؛ تاريخ القبول: 2019/05/28

الملخص

تكتسب القصيدة مشروعية التأويل والتلقي، لمّا تحوي من مؤهلات نصيّة، تستدعي حضور المتلقي ليتفاعل مع بنيتها، ويبرز مكنوناتها، و"القصيدة الممنوعة بمرسوم..سلطاني... !؟! لابن الشاطئ" تتسم بالبعدّ الجمالي والدّلالي الذّي يمتاز بالانفتاح على الماضي والحاضر والمستقبل...إلخ، هذا ما جعلنا نهتم بالمتلقي الذّي يحاول قراءة النّصّ الشعري قراءة واعية تهدف إلى الوصول إلى المعنى.

الكلمات المفتاحية: المتلقي، التفاعل، ابن الشاطئ، التّناص.

Abstract

The poem is characterised by the legitimacy of interpretation and reception because it contains many qualifications that require the presence of the receiver (reader) to interact with its form and show its components, the forbidden poem by a “sultan Act” of ”Ibn Chattie”is characterised by its aesthetic and indicative sense which is open to present, past and future...ect.

This makes us care about the receiver reader who is always trying to read the poetic text carefully to reach the meaning.

Key words: receiver, interaction, Ibn Chattie, Intertextuality

* المؤلف المرسل: بشير مديحة، البريد الالكتروني: madihaacharif@gmail.com

* Corresponding author: Bachir Madiha, e-mail: madihaacharif@gmail.com

مقدمة:

أوّل ما يواجه القارئ في النّصّ -أيا كان هذا النّصّ- العوالم المندرجة في رقعة خطية تلتقي فيها الكلمات بالرؤى الشعرية ما يولد متعة جمالية تعود بالأثر على كلا الطرفين، بل يمتد رحاها إلى صنع فضاءات جديدة في عالم التفسير والتأويل وهذا ما ينطبق فعلا وأصلا على نصّ ابن الشاطئ والذي سنحاول من خلاله تتبع البؤر الّتي يمكن أن يتجلى لنا فيها المتلقي بكل أبعاده.

إنّ "القصيدة الممنوعة بمرسوم..سلطاني... !؟!" ثرية بمواطن تستدعي حضور المتلقي للتفاعل مع بنية النّصّ وفك شفرته وغموضه، وإنّنا نلمس من خلالها دعوة مباشرة لإعمال الفكر في تحليل الأبيات الشعرية، لأنّه يستحيل بروز المعني من القراءة الأولي والثانية وحتى الثلاثة فهي لا تحمل دلالة جاهزة نظرا لوجود الحذف والبياض والفراغات وكذلك الإشارات الثقافية كالتناص، الرمز، وغيرها من الظواهر الأسلوبية/اللّغوية الّتي انتهجها الشاعر في قصيدته، ولا يخفي على أحد أنّها من الظواهر المساعدة على سبر بواطن النّصّ الأدبيّ من طرف متلق بارع، من هنا يمكن أن نتساءل عن مدى مساهمة هذه الظواهر (الحذف، اللاّتحديد، البياض، الكلمات المفاتيح، الاستراتيجيات النصيّة... إلخ) في خلق تفاعل بين النّص والمتلقي؟ وهل يَتبِع المتَلقي أنساق ثقافية بعينها في تحليل النّصّ الشّعري؟.

برز في الساحة النقدية مناهج اهتمت بالقراءة والقارئ ودعت إلى إشراك القارئ في عملية إنتاج المعنى وهي البنيوية الفرنسية الّتي نادى ممثلها رولان بارت بموت الكاتب وولادة القارئ الذّي يصنع معنى النّص، ونظرية التلقي عند النقاد الألمان من جامعة كونستانس وعلى رأسهم ياوس، وآيزر [1]. ومنذ ذلك الوقت أصبح القارئ بمثابة كاتب

(1)- محمد عزام، رواية القارئ، مجلة الموقف الأدبي،ع366، اتحاد الكتاب العرب دمشق، 2001م، ص1.

يعيد نسج خيوط النّصّ من جديد لإخراجه في حلة جديدة ما جعل منه مشاركا في إنتاج إبداع جديد، وهو ما ذهب إليه سعيد يقطين يقول أنّ:"إنتاج الدّلالة من خلال الذات (الكاتب/القارئ) يجعلنا نرى في النّصّ كتابة وقراءة معاً، أو قراءة والتجربة في آن"[2] وتمر عملية إنتاج المعنى من طرف المتلقي أو التفاعل القرائي بين المتلقي والنّص على مستويين حسب محمد عزام وهما:

1-مستوى التلقي: وذلك من خلال تفاعل القارئ مع النّص المقروء، حيث تمتلك الكتابة استراتيجيات تبرز حين ننظر إلى النّصّ الأدبيّ كبنية تتفاعل داخل مجموعة من العناصر النّصية، مع بنيات أخرى خارج نصية، باعتبار النّصّ متوالية من العلاقات اللّغوية الّتي تنتظر من القارئ ألا يقف عند حدود تفكيكها، وإنّما يتجاوز ذلك إلى تأويلها، باعتبار النّصّ بنية مفتوحة للتلقي والتأويل، وباعتبار أنّ في سلسلة النّصّ كثيراً من الفجوات والانقطاعات الّتي ينبغي ملؤها من قبل القارئ.

2-مستوى إعادة إنتاج النّصّ: وذلك بعد أن يتمّ القارئ من اكتشاف بنيات النّصّ، وتحليل علاماته وإشاراته، ثم تأويله حسب مخزونه الثقافي، ووصله بالمعلومات الجديدة[3]، وبهذا يصبح القارئ شريك استراتيجي لصناعة معنى النّص من خلال جملة من المعطيات الّتي يوفرها له صاحب النّصّ (البياض الحذف، التكرار التّناص، الرمز..) في نصه فينتج نصا جديدا أكثر إبداعا، ومن عنوان البحث يتبين لنا أنّ هذه القصيدة تحاول إشراك المتلقي في فهم ونقل معانيها، وإبراز جماليات التفاعل الحاصل بين المتلقي والنّصّ والمتعة الجمالية الناتجة عن هذا اللقاء، وهذا من خلال جملة من المعطيات أهمها:

أولا: العنوان (العتبة الأولى للمتلقي)

(2) - سعيد يقطين، انفتاح النّصّ الروائي-النّصّ والسياق-،ط2، المركز الثقافي العربي، المغرب، 2001م،ص34.

(3)- محمد عزام، سلطة القارئ في الأدب، مجلة الموقف الأدبي، ع377، اتحاد الكتاب العرب بدمشق، 2002م،ص 5.

يأتي العنوان في واجهة أيّ كتابة أدبية/فنية تجذب المتلقي للوقوف أمام هذا العمل الأدبي، لأنّه يعدّ بمثابة مفتاح تأويلي يعرض مضمون النّصّ بصورة موجزة؛ وانطلاقا من عنوان القصيدة:الموسومة ب"القصيدة الممنوعة بمرسوم..سلطاني...!؟!"حيث ينتهي هذا الأخير بثلاث نقاط حذف وعلامتان للتعجب تتوسطهما علامة استفهام، يجدّ المتلقي نفسه أمام عنوان يكتنفه الكثير من الغموض والاستفهام ما يدفع به لمحاورته والبحث في طياته عن ملامح القصيدة ككل فهو يصنع ما يسمى في أدبيات التحليل النقدي سلطة التكثيف والتجريد الدّلالي، فهذه القصيدة التّي منعت من النشر بقرار سلطاني بلا شك أنّها تتحدث عن أمور ممنوعة قانونا خصوصا وأنّ العنوان يعدّ المنفذ والعتبة الأولى للنّصّ الّتي من خلالها يرسم تصورا تقريبيا متخذا من النّصّ الصغير(العنوان) قاربا للولوج إلى النّصّ الكبير ألاّ وهو القصيدة.

يملك السلطان الشرعية في اتخاذ وإصدار القرارات والمراسيم غير أنّ قراره بمصادرة ومنع نشر وإذاعة هذه القصيدة بين العامة لا يمت للشرعية بصلة فقد أتبع الشاعر كلمة "مرسوم" بنقاط حذف تفيد أن هذا الأخير مشكوك في صحته ومردود أمره ويحتاج إلى إعادة النظر في حكمه من طرف المنصفين، كما أنّ فيها إشارة إلا أنّه ينبغي التأكد من مصدر القائل، وفي هذا العنوان يصرح الشاعر بالقائل وهو السلطان وهذا ما يبعث على الحيرة والاستغراب والاستنكار من طرف الشاعر لذلك وضع علامتين تعجب تتوسطهما علامة استفهام فأنى له أن يحكم على القصيدة بالمنع والحضر وهو المسؤول على ما يحدث في البلاد، مما لا شك فيه أنّ هذا الأمر الممنوع يتعارض مع مصالحه ويهدد أمنه واستقراره من طرف العامة، أو أنّه سلطان تابع لسلطة أقوى منه هي من تملي عليه الأوامر وما عليه إلا أن يضع الختم السلطاني لتكتسب القصيدة شرعيتها.

بديات لها شرر المقاومة: على عتبات فقد الوطن ووجع الفراق وقف "ابن الشاطئ" لينسج أبياتا تتضوع حزناً وألماً وحسرةً فهاهو يبث شكواه وآلامه ويصورها بأنّها كأعاصير تقتلع كيانه وتبعثره، ويستنكر صمت العرب ويصفهم بالصم البكم أو بمن انتُزِعَ منه سمعه وبصره فلا ير ما يدور حوله في قوله:

تَذْكُو الأَعَاصيرُ في صدْرِي وَتَنْفَجِرُ يَا حَادِي العِيس غِيْلَ السَمْعُ والبَصَرُ[1]

لقد اشتدت الآلام في صدر الشاعر حتى أصبحت إعصاراً هائجاً يستحيل الوقوف في وجهه، فبعد صمت طويل انتفض الشاعر وانفجر شاكيا واقع الأمة العربية ملخصا حالها في قوله: "غِيْلَ السَمْعُ والبَصَرُ" أي؛ أنّ العالم العربي سُلِبت واغتيلت عنده حاستي السمع والبصر فلم يعد يرى ويسمع ما يحدث في فلسطين، وقد أدرك الشاعر هذه الحقيقة الأليمة بعد أن تجول في بلدان عربية كثيرة، ففي وقت قريب كانت القضية مسؤولية الجميع وقريبة من أسماعهم وأنظارهم حريصين على معرفة كل صغيرة وكبيرة بين أسوار الأرض المباركة، وهذا القرب كان يطمئن أهل فلسطين فيستأنسون به، هذا ما حدا بالشاعر أن يشكوا شكوى عتاب لأنّه لم يعد هناك من يساند ويخفف آلام أبناء الوطن.

نُفي الشاعر من وطنه الحبيب، فلم يبق بيده شيء إلاّ نداء لوعة وشوق وحنين يصرخ به قائلاً: يا حَادِي العيس... !! هلْ مرّت قَّوافِلُنَا يوْمًا؟ وَهَلْ ضَحِكَتْ فِي رُمْلِهَا العُصْرُ؟[2]

أيها الشاعر المفجوع ما الذّي بقي لكَ وأنت تنادي وتسأل غير شَوْقٍ يتلظى في قلبك لوطنٍ نُفِيْتَ منه يا حادي العيس، والحادي من يترنم بالحداء والغناء كي تسير الإبل وتنشط للمسير الطويل ينادي الشاعر عليه نداء المتعجب المستنكر لسعادة الحادي بمسير قافلته، ليسأله بعد مناداته إن رأى يوما قافلتنا تمر بأمان وسلام وتحظى بالملجأ والمنجاة في أرض سكنها أناس غيرهم، ويواصل الحادي غناءه والشاعر يستصرخ قائلا يا حادي العيس هل مرت قوافلنا بسلام منذ احتلال الأرض.

وإذا تتبعنا هذه الأبيات وجدناها في البيت الأول خالية من علامات الوقف، فالشاعر يستأنف كلامه في البداية ليعكس صورة الألم على أكملها، غير أنّه لم يلبث على هذا الحال في البيت الثاني إذ يحتاج إلى علامتين للوقف: ".." فاصلة يتريث فيها النَّفَس قليلاً لاستعادة الوعي، وعلامتان لتعجب تقطع النَّفس كلية"!!"، ليقوم وراءها

(1) - ابن الشاطئ، أبجدية المنفى والبندقية، ط1، إصدارات رابطة الإبداع الثقافية، الجزائر،2004م، ص15.
(2)- المصدر نفسه، ص15.

بتساؤل جديد هل مرت قوافلنا يوما؟ وهل ضحكت في رملها العصر؟ وليس هذا شأن البيت الأول بل القصيدة ككل تحوي مثل هذه الظاهرة الأسلوبية ذلك أنّ المواقف الصعبة جعلت من الكلام صعبا على قائله وثقيلا على متلقيه، فراع ذلك الشعور من خلال صمت تمنى لو أنّه يطول على أن يقول حقائق وينقل أخبارا تعيسة عليه كمتلق أول لها، وعلى المتلقي الثاني وهو القارئ، "وبما أنّ القراءة حوار بين النّصّ والقارئ، وهذا الأخير هو الّذي يملأ ثغرات النّص وانقطاعاته بحيث يقوم باستكمال عملية الاستدلال على المعنى، فإنّ الاستجابة هي تجاوب المتلقي مع الإبداع الأدبي، وكلما قويت ثقافة المتلقي الفنية والعامة، قويت مشاركته في الفهم والاستيعاب"[1].

وإننا نجد الشاعر يترك للقارئ فجوات يشركه فيها لقول ما يريده هو، فالشاعر يصنع في خياله قارئ يعرف بالقارئ الضمني:"...يتجسم في الدعوات والإشارات والتلميحات الّتي تحث القارئ على ملء فراغات النّصّ"[2] وهذا الانفتاح على النّصّ من طرف المتلقي يجعله يتفاعل مع النّصّ المكتوب ويقول تماما ما كان يود أن يقوله الشاعر وهو ما ذهب إليه إيزر (*wolfgang Iser*) حين قال: "هكذا تصبح البنية الذهنية للقارئ أثناء فعل القراءة جزءا لا ينفصل عن بنية النّصّ نفسه"[3].

ثانيا -الانفتاح على الماضي:

حضور التناص في القصيدة:

أدرك الشعراء المعاصرون أهمية استحضار الموروث الأدبي في نصوصهم الشعرية فراحوا ينهلون منها وفق ما يتماشي مع تجاربهم الإبداعية وتفيد "عملية استحضار الغائب في تحويل القارئ إلى منتج للنصوص، مما يجعلها مضاعفة الجدوى، فهي من ناحية تثري

(1)- محمد عزام، سلطة القارئ في الأدب، ص6.

(2)- عبد الناصر حسن محمد، نظرية التواصل قراءة النّص الأدبي، دط، المكتب المصري لتوزيع المطبوعات،القاهرة، 1999، ص92.

(3)- فولفانج إيزر، فعل القراءة نظرية جمالية التجاوب في الأدب، دط ، ت حميد لحميداني، منشورات مكتبة المناهل المغرب، دت، ص7.

النّصّ إثراءً دائماً باجتلاب دلالات لا تُحصى إليه، ومن ناحية أخرى تفيد في إيجاد قراء إيجابيين يشعرون بأنّ القراءة هي عمل إبداعي(1).

يعدّ التّناص ظاهرة معقدة وصعبة الضبط "يعتمد في تميزه على ثقافة المتلقي وسعة معرفته وقدرته على الترجيع(2) فحتى يستطيع المتلقي أن يستنبط التناص في النّصوص عليه أن يكون ذا سعة معرفية، وقدرة عالية على التميز بين أساليب النّصوص ليخلق التفاعل بين النّصوص سواء من ناحية العبارات أو الألفاظ أو السياق أو حتى من الناحية الشكلية، إنّ التناص ظاهرة تستدعي النظر الثاقب والوعي الحاضر واتساع ثقافة المتلقي حتى يستطيع التجاوب معه ثم تأويله حسب ما جاء به صاحب النّصّ، ونتيجة لكلّ هذا كان "النّص الشّعريّ العربي المعاصر، يفترض من المتلقي كفاءة تلقيه فلا تُلقى القصيدة للقارئ كالرغيف كما يقول أدونيس(3) وهكذا يكون التّناص من بين التقنيات الّتي يعمد الشاعر إليها ليجعل نصه أكثر ترميزاً وغموضاً فيجبر المتلقي على عرض كفاءته الفكرية والثقافية لاستنباط الجماليات والصور الموظفة فيه وبالتالي لا يكون النّصّ الشّعري لقمة سائغة يسهل الحصول عليها؛ لذا وجب على النّصّ الشعري أن يخرج من بساطته ومباشريته وتلقائيته ودخوله في عالم الغموض والرموز بسبب حضور النّصّ الغائب.

نجد ابن الشاطئ في هذه القصيدة يستعير الاسم الحرّ (أم أوفى*) من شعر زهير بن أبي سلمى "ليكون عنوانا للوّفاء الّذي ضرب جذوره في التاريخ أكثر من خمسة عشر قرنا..ليمنحه لأمة الحب..أمة الوفاء..أمة النضال والجهاد..الأمة العربية"(4)، هذا ما جعل الشاعر يقف "على أطلال الأمل العربي الجميل الّذي يراود الجماهير العربية الأبية قبل نكسة حزيران1967...بعد عشرين عاما...كما وقف زهير بن أبي سلمى على أطلال زوجته (أم أوفى) الّتي هجرته بعد أن تزوج عليها... هجرته بوحي من عزة النفس التي تمتلئ بها أعماق المرأة العربية الحرة..هجرته وهي العروب الوفية..ولم يستطع زهير

(1)- محمد عزام، سلطة القارئ في الأدب،ص7.

(2)- محمد مفتاح، تحليل الخطاب الشعري إستراتيجية التناص، ط3، المركز الثقافي العربي المغرب، 1992م، ص131.

(3)- محمد جودت، تناصية الأنساق في الشعر العربي الحديث،ط1، عالم الكتب الحديث الأردن، 2011، ص38.

(4)- ابن الشاطئ، أبجدية المنفى والبندقية، ص10.

نسيانها ولا سلوها فكانت وقفته أبلغ تعبير عن وفاء لم يمت فخلد ذلك في معلقته"[1] واستلهم ابن الشاطئ أمَّ أوفَى كرمز تاريخي تكرر في عدة دواوين منها ديوان أبجدية المنفي والبندقية حيث ذكرها تقريباً 144مرة وكانت أيضا عنوانا لديوان "أمّ أوفى تتجدد رغم اللّيل الطويل" كما صرّح بأنّه استعملها كرمز في قصائده في مواضع مختلفة من ديوان أبجدية المنفى والبندقية منها:

المَرْأةُ/الرّمْزُ التِي جَسّدْتُها في أُمِّ أَوْفَى..قِبْلَتِي ومنَارِي[2]

ويقول: أنْتِ رَمْزِي يا أُمَّ أَوْفَى وحَسْبِي فِي السِّنين العِجَاف أنْ تُدْركيني..!![3]

في الأبيات الأولى للقصيدة نجد الشاعر ينفتح على المقدمة الطّلّلية فيتناص مع معلقة زهير بن أبي سلمى التّي استحضرها في قوله:

وهَلْ بـ(حوْمَانَةِ الدَّرَّاجِ)مِنْ أثرٍ ضَاوٍ..تُموّجُهُ أيَّامُنَا الغُرُرُ..؟

فَيسْتَفِزُّ بِلاَ زَيْفٍ مُطَلّقَتِي جَهْراً..وتَفْرِشُ أهْدَابِي وتَنْفَطِر..؟؟

حَاولْتُ عِشْرِينَ عَاما قَبْل فَاعْتَذَرتْ حَزِيْنَةً..وشَوَاني القَلْب والنَّظرُ

وخَلَّفَتْنِي أعُدُّ النَّجْم مُنْفَرِدا فَلاَ القَبِيْلَةُ واسَتْنِي ولا الكِبَرُ..!؟

شَابَتْ ضُلُوع الأمَاني دُونَ عَوْدَتِها وضَيَّعَتْنِي رِيَاحُ الجَهْل..والذِّكَرُ..!؟[4]

ويتناص معه في قوله:

أَمِنْ أُمِّ أَوْفَى دِمْنَةٌ لمْ تَكَلَّمِ بِحومَانَةِ الدَّرّاَجِ فَالمتَثَلَّمِ

ودَارٌ لهَا بالرَّقْمَتَين ِ كَأَنَهَا مَرَاجِيعُ وَشْمٍ في نَوَاشِرِ مِعْصَمِ

بهَا العِينُ والأرْآمُ يمَشِينَ خِلْفَةً وَأَطْلاؤها يَنْهَضْنَ مِن كُلّ مجْثَمِ

(1)- ابن الشاطئ، أبجدية المنفى والبندقية، ص10.

(2)- - المصدر نفسه، ص43.

(3)-- المصدر نفسه، ص208.

(4)-- المصدر نفسه، ص15.

وَقَفْتُ بِهَا مِنْ بَعدِ عِشْرِينَ حِجّةً فلأياً عَرَفْتُ الدَّارَ بَعدَ تَوَهّمِ

أثَافِيَّ سُفْعاً في مُعَرَّسِ مِرْجَلٍ وَنُؤْياً كجِذْمِ الحوْضِ لمْ يَتَثَلَّمِ

فَلمَّا عَرَفْتُ الدَّارَ قُلتُ لِرَبْعِها: أَلاَ انْعِمْ صَبَاحاً أيُّهَا الرَّبْعُ واسْلَمِ[1]

ويظهر من خلال هذا التناص أنّ ابن الشاطئ قد تفاعل مع التجربة الشعرية لزهير بن أبى سلمى فأراد من خلالها أن يستمد تلك المعاني الجميلة الّتي تعبر عن وفاء زوجة لزوجها، وزوج لزوجته حين هجرته حتى تحفظ عزة نفسها ولم يستطع زهير نسيانها فكان يتردد على منازل الحبيبة أمّ أوفى ومنها (حومانة الدّرّاج) الّتي كانت تقيم فيها وبقى كذلك حتى بعدما غيرت منازلها.

وبعد مضي عشرين سنة.. يبقى زهير يبحث عن ديارها الجديدة وحين وجدها رفضت العودة معه، ما جعله يحزن عليها أكثر فخلّدها في معلقة بقيت راسخة في الأذهان رغم مرور آلاف السنين، وقد جعلها ابن الشاطئ رمزا لقصيدته فكان هذا الرمز يحمل العديد من المعاني منها: وفاء العرب لفلسطين بصفة عامة ووفاء أبناء الوطن بصفة خاصة خصوصا الذّين في المنفى فحبهم وشوقهم إلى الوطن أكبر، كما توحي أمّ أوفى إلى رفض الذّل والظلم ورفض المشاركة في الزوج كذلك الحال عند الفلسطينيين الذّين يرفضون المشاركة في فلسطين، بالإضافة إلى الرغبة في الحرية، وقد أضفى هذا التّناص قيمة جمالية وبعداً إيحائيا وبلاغياً زاد النّص روعة وجمالا ومتعة.

كما يستحضر ابن الشاطئ حرب ذي قار وشخصيتين مهمتين في التاريخ الإسلامي هما المثنى بن حارثة الشيباني وعمر بن الخطاب رضي الله عنه في قوله:

يَا حَادِي العِيْس.. لاَ ذِي قَارٌ مَاثِلَةٌ ولاَ المُثَنى..ولاَ حَامِي الحِمَى عُمرُ[2]

وفي هذا الحضور التاريخي نلمح رغبة الشاعر في عودة الحمية العربية من أجل الذود على الديار وتذكر الأمجاد العربية كانتصارات المثنى التاريخية وحماية المحارم والدفاع عنها كما كان يفعل عمر بن الخطاب، فكان لهذا الاستدعاء عمق تاريخي وديني

(1) - ديوان زهير بن أبي سلمى:،دط، دار بيروت للطباعة والنشر، 1982، ص76/75/74.

(2) - المصدر نفسه، ص17.

عزز من دعوة المتلقي للتفاعل مع القصيدة وربط الأمس باليوم من خلال تذكير الأجيال بمآثر الأجداد ودعوتهم للسير على نهجهم. ويتجلى لنا الموروث في ذكره "حادي العيس، أوفي، عام الفيل" في قوله:

يا حَادِي العِيْس..نَعْلِي لاَ تُطَاوِعُنِي أُغْرُبْ..وَإِلاَّ..!؟ فَلَنْ يُجْدِيْكَ مُؤْتَمَرٌ

واتْرُكْ نَزِيْفِي..وَحَاذِرْ أَنْ تُلَوِثَهُ يَوْمًا فَكَمْ حَضَرَتْ (أَوْفَى) وَمَا حَضَرُوا

أُغْرُبْ بَعِيْدًا طَوِيْلَ العُمْرِ مُخْتَزِنًا زَيْفَ الشِعَارَاتِ، (عَامُ الفِيَلِ) مُقَتَّدِرٌ.. !![1]

فنجده في هذه الأبيات غاضبا ناقما على المؤتمرات العربية الفاشلة في اتخاذ وصنع القرار ما جعله يطردهم بعيدا ويعتبر أنّ للأقصى ربٌ يحميه تماما كما حمّى البيت الحرام، فتخاذل الأمّة العربية على حماية الأقصى ثالث الحرمين ليس بالغريب على الأحفاد فقد ترك الأجداد قبل هذا الزمن الكعبة الشريفة دون حماية لما أراد أبرهة الحبشي هدم الكعبة وهو ما يعرف بعام الفيل، فالشاعر يدرك أن الّذي حمى ونصر الكعبة يومها قادر أن يحمي وينصر الأقصى اليوم قال تعالى "أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ(1) أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ(2) وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْراً أَبَابِيلَ(3) تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِنْ سِجِّيلٍ(4) فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ(5)[2] معتبرا كل المؤتمرات التّي يقومون بها مجرد زيف وشعارات يتغنون بها تماما كما يفعل حادي العيس في صحبته للقافلة، أمّا أمُّ أوفى فظلت وفيةً دائمة الحضور، وهذا الحضور لأم أوفي لم يحَكُم على فلسطين بالغياب بل عزز حضوره من خلال عودتها إلى الوطن ومساندتها للثوار، فإذا كان الشعب الفلسطيني أعزل من السلاح وكانت إسرائيل تتمتع بقوة عسكرية متطورة، فإنّ الإرادة والإيمان بعدالة القضية سيجعل النصر بإذن الله، على يد أضعف مخلوقات الله (الطيور الأبابيل) فقد استطاعت هزيمة جند أبرهة بعدته وعتاده، ولم تكن عدتها حينئذ سوى الحجارة المقدسة، تلك التي تسلح بها أبناء الانتفاضة في فلسطين،(إلاّ وحركها الأطفال والحجر..) فالانتفاضة تستمد قوتها وديمومتها من الحجارة، كما أنّ

(1) - ديوان زهير بن أبي سلمى، ص17.

(2) - القرآن الكريم برواية ورش، دط، دار الإمام مالك للطباعة والنشر والتوزيع الجزائر، 2012. سورة الفيل.

استحضار عام الفيل في البيت الشعري دعم المعاني العميقة التي أرادها الشاعر فزادت البيت رونقا وجمالا.

الانفتاح على الواقع:

أَطْلَقَتْ صَمْتَهَا أَمْ مَا تَزَالُ عَلَى عَهْدِي بِهَا تَتَوَارَى ثُمَّ تَعْتَذِرُ..؟؟

أَجِبْ عَلاَنِيَة..لم تبق ساكنة إِلاَّ وَحَرَّكَهَا "الأَطْفَالُ والحجرُ".. !!

أَ نَحْنُ فِي الوَطَن المُحْتَلّ مَلْحَمَةٌ وَأَنْتَ سيْفٌ مِن الآهَاتِ يَنْكَسِرُ..؟!؟

أَ أَنْتَ..أَنْت طَوِيلُ العُمْر..؟وا أسفِي عَلَيْكَ..ماذَا جَرى؟ هَلْ يَنْحَنِي الشَّجرُ؟

أَ يَخْرُجُ الشّارِعُ الغَرْبِيُّ مُنْفَعِلا وَالنَّخْلُ فِي الزَّمَنِ المَقْلُوب يَنْتَحِرُ..؟؟

أوّاهُ مِنْكَ..وَمِنْ تِلْكَ الجُمُوع..أَمَا تَيقَّظَتْ..؟ لَيْتَهَا تَفْنَى وتَنْدَثِرُ

تِلْكَ الجُمُوعِ عَلَىَ أَطْرَافِ خُبْزَتِها تحَنِي الجِبَاه..وتَغْفُو حِيْن تَسْتَعرُ.؟[1]

الواقع الرئيسي الّذي يبثره الخطاب الشعري هو الواقع المأسوي للقضية الفلسطينية حيث رصد لنا تخاذل العرب في نصرة القضية من خلال تبنيهم لغة الصمت فوقف الشاعر موقف المتسائل المحتار عن صمتهم الطويل فمن خلال قوله " أطلقت صمتها أم ما تزال على عهدي بها تتوارى ثم تعتذر..؟؟" نستشف أن لغة الصمت دامت طويلا لذلك نجده يستفسر عن عودة الكلام للعرب ودلت عليها عبارة أم "ما تزال على عهدي بها تتوارى ثم تعتذر..؟؟" فقد ألف ابن الشاطئ هذا الصمت المهين القابع وراءه اختباء الأمة العربية على نصر القضية وبعد مدة من الزمن تقدم اعتذار العار من جديد؛ غير أنّ هذا الواقع العربي لا يقف حائلا بين تحرك القضية في الداخل فالأطفال يتحدون بالحجارة أطغي قوة في العالم فيصور لنا المشهد الفلسطيني بأنّه ملحمة تتحدى وتتصدى لهذا المحتل الغاشم.

ليعود من جديد ويصف زعماء الوطن العربي بقوله: "أأنت..أنت طويل العمر..؟وا أسفي عليك..ماذا جرى؟ هل ينحني الشجر؟" في هذا البيت نلاحظ أسلوب السخرية

(1) - ابن الشاطئ، أبجدية المنفى والبندقية ص16.

والتهكم فمن خلال ضمير المتكلم الّذي جاء بصيغة الاستفهام"أأنت.."تتبعوها نقاط حذف تحيلنا حتما إلى شخص محدد يتوجه إليه بالعتاب غير أن مكانة المقصود تجعله يحذف كلمات الإهانة والعتاب الجارح فيعوضها بنقاط حذف تجعل المتلقي يتفطن للمعني ويقول ما يود قوله الشاعر، ولا يتوقف عند هذا الحذف بل يواصل في تحديد هذه الشخصية بقوله"أنت طويل العمر..؟ هنا يضيف سمة جديدة لتميز هذه الشخصية أكثر في قوله "طويل العمر" هذه اللّفظة الّتي تحمل الكثير من دلالات فهي عبارة مزخرفة لها مالها من التنميق تستخدم في الثقافة العربية -الخليج العربي-، غير أن الشاعر أفرغها من شحنات الإيجابية وحصرها في شحنات السلبية والّتي منها الاستهزاء متأسفا عليه وعلى ما آل إليه الحال العربي كما أنّه يستنكر انحناء الأصل فهو بمثابة الشجر الشامخ الّذي لا ينحني مهما مرت عليه عواصف هوجاء.

وفي لافتة منه لتحريك الضمير العربي في وجدان ملوك ورؤساء العرب (السعودية الجامعة العربية) يذكر الشاعر كيف انفعل الشارع الغربي متضامنا مع القضية رغم بعد اللّسان والعادات والتقاليد والهوية إلا أنّهم باسم الإنسانية تحركوا وانتفضوا، في حين العرب -وذكرهم باللفظة النخل على اعتبار أنّها خصيصة من خصائص الّتي يعرف بها العربي- فضلوا الصمت في هذا الزمن الّذي قلبت فيه الموازين فقد أصبح العربي مهزوما بعد أن كان يعرف بالشجاعة والشهامة، وفي البيت الموالي يعلن تأففه منه ومن الجموع العربية ويقصد بها الجامعة العربية الّتي تعنى بالقضايا العربية والّتي تستمر في نومها والركض وراء مصالحها ما جعله يتمنى فناءها واندثارها على هذا البقاء المخزي.

انطلاقا مما سبق، يمكن القول أنّ القصيدة تنفتح على الواقع الخارجي للقضية ويتجلى ذلك في رصد الموقف العربي المخزي للقضية من خلال الواقع المؤلم الّذي يعكس تخاذل الملوك والأمراء العرب، ومساهمة الغرب في نصرة الإنسان مهما كانت أعراقه وديانته ولغته.

الانفتاح على المستقبل:

كما تنفتح القصيدة على المستقبل(الاستشراف) وقد وفق الشاعر في جعل الأبيات الأخيرة بشرى لعودة شرر المقاومة والتصدي للمحتل الغاشم من خلال تجسيد الرمز أمّ أوفي في قوله:

عَادَتْ إِلى الوطَنِ المُحْتَلِ وَارِفَة تُجَسِدُ الزَّمَنَ الضَّاوِي..وَتَبْتَدِرُ
هِي الضُّحى..أمُّ أوْفي ..لاَتُطَاوِلُها شَمْسٌ..وَلاَ تَدَعِي زُورا..وَلاَ تَزِرُ
العُنْفُوَانُ قَدِيْمٌ في ذَوَائِبِها وَالكِبْرِيَاءُ عَلَى أَحْدَاقِهَا قَدَرُ.. !!
عَادَتْ تَعِيْدُ إِلَى الثُّوَارِ هَيْبَتَهُم وَلاَ يُرَوعُهَا بَغْيٌ ولاَ خَطَرُ
عَادَتْ شُمُوخًا..وَأطْفَالي أَسِنَتُهَا وَلَنْ يُزَحْزِحَهَا الأرْهَابُ وَالنُّذُرُ... !![1]

أراد الشاعر أن تكون نهاية القصيدة شعلة يستضئ بها المجاهدين ودعوة صريحة منه أنّ النّصر لن يأتي من خارج فلسطين بل من أصغر طفل فلسطيني فهو وقود الحرب وذخيرتها الّتي لن تنفذ، استعمل الشاعر علامات الوقف لأنّه عجز عن وصف أمّ أوفي ويكفيها شرفا أن الوفاء التصق باسمها فكانت عنوانا للوفاء ورمزا أبديا ظل الشاعر وفيا له في كل دواوينه، كما استعمل أيضا في هذه القطعة الشعرية البياض بتركه صدر وعجز البيت الموالي مرتين مرة حين أراد وصف أم أوفى ومرة أخرى حين وصف المقاومة وهي تحمل رايات التحدي والعزيمة على يد الأطفال، فهذين الموقفين عظيمين لدرجة أنّ الكلمات تعجز عن تبليغ الموقف أحسن تبليغ فيترك المجال مفتوحا للمتلقي، وهذه هي ميزة النّصّ المعاصر فإننا نجد "الآثار المعاصرة قد أدخلت تحويرا كبيرا على وظيفة القارئ عندما جعلت منه طرفا في النّصّ توكل إليه مهمة المشاركة في تأليفه"[2] فعن طريق الإشارات والتلميحات وغيرها يتفاعل المتلقي مع الأبيات الشعرية الّتي يضمنها الشاعر لنصه فيهتدي المتلقي إليها ويبوح كوامن النّصّ الشعري ومكنوناته، وفي الأبيات السابقة نجد أن أمّ أوفي قد أدركت في نهاية القصيدة بأنّ الوطن العزيز لن يعود إلاّ بالعزيز دم آباءنا وأبناءنا !! وأنّ النّصر لن يأتي من الخارج بل وقوده أطفال الحجارة من أبناء الوطن الغالي.

ووردت في الأبيات الأخيرة ألفاظ تدل على عودة "أم أوفي" إلى وطنها المحتل لتذكرهم بالزمن الجميل/الماضي ولتبث فيهم روح التحدي في المستقبل لأنّ "العنفوان والكبرياء والشموخ من صفاتها وهذه الألفاظ هي:"عادت/ تعيد/تجسد/تبتدر/لن يزحزحها".

(1) - ابن الشاطئ، أبجدية المنفى والبندقية ص18/17.

(2)- عبد الناصر حسن محمد، نظرية التواصل وقراءة النص الأدبي،ص39.

إنّ انفتاح القصيدة في آخرها على المستقبل شكل منحى تنبؤيّ، خصوصا وأن النّصّ الشعري مزود بالرمز والتناص ما أدى به إلى التنبُّؤ والاستشراف باندلاع الثورة وعودة المقاومة، والتفاؤل بالمستقبل الجميل.

ثالثا-دوال أُخْر:

1-حضور المرأة في القصيدة:

كان لحضور المرأة في القصيدة حضورا قويا وفعالا حيث جعلها الشاعر محور أو بؤرة القصيدة من بدايتها وحتى نهايتها فهي من تنسج خيوط القصيدة وتتبع تطورها وقد انطلق الشاعر من قصة زهير بن أبي سلمى مع زوجته أم كعب واستعار منه الاسم كاملا "أمّ أوفي" لأنّه في موقف يحتاج لمعاني وصفات هذا الاسم ويطمح الشاعر من خلاله أن يعيد المعاني الحقيقية للوفاء بين الأمة العربية الواحدة؛ في بداية القصيدة يعلن الشاعر رغبته في تتبع آثار المرأة الأولى في حياته والمرأة الأولى تعنى له الوطن الأم فالشاعر بعد النفي أصبح حاله كحال زهير في فقدانه الزوجة الأولى فهم يشتركون في الوطن الأول والزوج الأول وكلاهما يتضرع آلام البعد والفراق فهو حين يتحدث على لسان زهير يتحدث عن ذاته المفجوعة لفقدان وطنه.

لقد صور الشاعر المرأة بأنّها المؤنس الوحيد والمخفف عن آلامه يقول:

رَجَعْتُ مِنْ رِحْلَتِي والصّدْرُ مُنْقَبِضٌ وَالهمُّ يَأْكُلُ أَعْصَابِي وَيَنْتَشِرُ

ولَيْسَ فِي جَعْبَتِي شَيْءٌ يُزَوِدُنِي إلاَكِ حِيْنَ يَطُولُ اللَّيْلَ وَالسَّفَرُ.. !!

نِعْمَ الصَّدِيقَانِ فِي بَحْرِ الظّلاَمِ..أنَا وَأَنْتِ..نِعْمَ جَنُونُ المَوْجِ..وَالسَّهرُ[1]

تعتبر المرأة الرفيق والأنيس للرجل فهو يبثها شكواه ومصائب الدهر وهي المخلوق الوحيد الّذي يحسن الاستماع ويقدر الأمور، أدرك الشاعر هذا وهو يعلم أن هذا المخلوق الضعيف سيمنحه الاستمرارية ويحثه على المضي قدما نلمح هذا من خلال

(1) - ابن الشاطئ، أبجدية المنفى والبندقية ص16.

قوله:" وليس في جعبتي شيء يزودني إلاّكِ حين يطول الليل والسفر.." فمهما طال اللّيل والسّفر فإنّها تظل ملهمته الأولى هي من تزوده بالمعارف والأمان، كما أنّها الصديقة الوفية في ظل معارك/خيانة الحياة ومآسيها.

واتْرُكْ نَزِيْفِي..وَحَاذِرْ أَنْ تُلَوِثَهُ يَوْمًا فَكَمْ حَضَرَتْ (أَوْفَى) وَمَا حَضَرُوا

أُغْرُبْ بَعِيْدًا طَوِيْلَ العُمْرِ مُخْتَزِنًا زَيْفَ الشِعَارَاتِ، (عَامُ الفِيَلِ) مُقَتَّدِرٌ..

هَا قَدْ تَعَرَّتْ عَلَى الأَفَاقِ سَيِّدَةٌ عَظِيْمَةٌ بُعِثَتْ فِي صَدْرِهَا (مُضَرُ)

عَادَتْ إِلى الوطَنِ المُحْتَلِ وَارِفَة تُجَسِدُ الزَّمَنَ الضَّاوِي..وَتَبْتَدِرُ

هِي الضُّحى..أمُّ أوْفى ..لاَتُطَاوِلُها شَمْسٌ..وَلاَ تَدَعِي زُورا..وَلاَ تَزِرُ

العُنْفُوَانُ قَدِيْمٌ فِي ذَوَائِبِها وَالكِبْرِيَاءُ عَلَى أَحْدَاقِهَا قَدَرُ.. !!

عَادَتْ تَعِيْدُ إِلَى الثُّوَارِ هَيْبَتَهُم وَلاَ يُرَوعُهَا بَغْيٌ ولاَ خَطَرُ

تَجَذّرُ الحُبّ فِي أَعْمَاقِ قَرْيَتِنَا فَيَصْرُخُ الحَجرُ الظَامِي: أَنَا الشَّرَرُ.. !!

عَادَتْ شُمُوخًا..وَأَطْفَالِي أَسِنَتُهَا وَلَنْ يُزَحْزِحَهَا الأَرْهَابُ وَالنُّذُرُ... !![1]

تتجلى لنا المرأة في هذه القصيدة في صورة الوطن فهي المعطاء الدائم والشامخ، واستطاع الشاعر أن يرسم لنا كيف تساهم في شحن الهمم وتحريك النفوس لنصرة الوطن فنحن نلمحها في نهاية القصيدة بمثابة الأمّ الّتي تدفع أبناءها إلى المقاومة وتحثهم على الثبات والإقدام.

2-كثرة الأسئلة في القصيدة:

لقد خلقت المآسي المتكررة والزّلازل السياسية التّي يعانيها الفلسطيني روحاً متثاقلة بالألم المصحوب بالضيق والتّذمر وبالعديد من الأسئلة التّي تجتاح خياله، والقصيدة مليئة بالتساؤلات المكثفة أراد الشاعر من خلالها أن يلفت نظر المتلقي منها قوله:

يا حَادِي العيس... !! هل مرّت قَوافِلُنَا يوْمًا؟ وهل ضَحِكَتْ فِي رَمْلِهَا العُصْرُ؟[1]

(1) - ابن الشاطئ، أبجدية المنفى والبندقية ص17.

حيث يبدأ الصياغة بتركيب ندائي"يا حادي العيس" والذّي يمهد به لصياغة تساؤلية تخاطبية بقوله هل مرت قوافلنا يوما؟ وهل ضحكت في رملها العصر؟ فنجده يسأل ولا يجيب ليس عجزاً منه على الإجابة وإنّما رغبة منه في ترك الإجابة على عاتق المتلقي الذّي يأمل منه أن يجد له إجابات شافية تريحه من ثقل كل تلك التساؤلات والاستفهامات المبثوثة في القصيدة والتّي منها قوله:

أَ نَحنُ في الوَطَنِ المحتل ملْحَمَةٌ وأَنْتَ سيْفٌ من الآهَات ينْكَسرُ..؟!؟

أ أنْتَ..أنْت طَوِيْلُ العُمْرِ..؟وا أسفي عَليْك..مَاذا جرى.؟ هَل يَنْحَنِي الشَجَرُ؟

أَ يخْرجُ الشارعُ الغَرْبيُ مُنْفَعِلاً والنَّخْلُ في الزَّمَنِ المَقْلُوبِ يَنْتَحِرُ..؟؟

أَوَّاهُ مِنْكَ..وَمِنْ تِلَكَ الجُموعِ..أَمَّا تَيَقَظتْ..؟ لَيْتَهَا تَفْنَى وتَنْدَثِرْ

تِلْكَ الجُمُوعِ عَلَى أَطْرَافِ خُبْزَتِهَا تَحْنِي الجِبَاه..وتَغْفُو حيْن تَسْتَعِرُ!؟![2]

في هذه الأبيات يتساءل عن الواقع الذّي آل إليه الوطن العربي من الانقسام والضياع والتخاذل اتجاه القضية خصوصا تواطأ الرؤساء والحكام ودلّ على ذلك قوله "أنت طويل العمر..؟ فنقاط الحذف وعلامة الاستفهام توحي لنا بحيرة وتسأل هل أنت فعلا ملك لك من الهيمنة والقيمة والوزن كما كان أسلافك؟ أم أنّه مجرد اسم ارتبط بك؟ كما تعكس صيغة التساؤل" وا أسفي عليك..ماذا جري؟ هل ينحنى الشجر؟" هذه الصيغة يأتي جوابها في صيغة تساؤلية تضيف حالة انكسار أخرى في قوله:"أيخرج الشارع الغربي منفعلا والنّخل في الزمن المقلوب ينتحر..؟؟"

أما في قوله: وعِنْدَما تَرْتَوِي مِنْ نَهْرِ شَهْوَتِهَ تَصُوغُ لاَفِتَةً سَمْراء تَنْفَجِرَ:

بِاسْم المعَانَاةِ..وَالْقُرْبى..وَمُصْطَلَحٍ مِنَ الدُّمُوعِ الغَوَالِي..يُرْفَعُ الحَذَرُ.. !؟![1]

=

(1) – المصدر نفسه، ص15.

(2) – ابن الشاطئ، أبجدية المنفى والبندقية، ص15.

(1)- المصدر نفسه، ص16.

فبعد الخيانة والنسيان يتذكرون الإحسان لذوي القربى ويمنون عليهم بالرفع الحصار وببعض المساعدات مما يجعله يتذمر من هذا الواقع المرير الذّي ضاعت فيه أمجاد الأمة العربية والإسلامية فنجده يتحصر عليها بقوله:

يَا حَادِي العِيْس.. لاَ ذِي قَارٌ مَاثِلَةٌ ولاَ المُثَنى..ولاَ حَامِي الحِمَى عُمرُ(2)

فيتأسف لفقدان المقومات العربية الأصيلة الّتي كان العربي يعيش فيها ومنها الرجولة والذّود على البلاد والمحارم بينما اليوم أصبحت مجرد ذكري لا تتجاوز حد الافتخار باللّسان لأننا أصبحنا أصحاب أقوال لا أفعال ولأنّ أم أوفي حادت عن هذا الواقع المخزي؛ فأصبحت عنيدة متمردة وخارجة عن قانون الذل والهوان نجد الشاعر في الاستفهام الموالي يقف على أطلال أم أوفي (حومانة الدراج) رغبة منه في ايجاد أثر يستنير به ليبعث منه شرر المقاومة وليعيد الزمن الجميل ويتجلى ذلك في قوله:

وهَلْ ب(حوْمَانَةِ الدَّرَّاجِ)مِنْ أثرٍ ضَاوٍ..تُموّجُهُ أيَّامُنَا الغُرُرُ..؟(3)

يحاول الشاعر في هذا البيت جس النبض العربي اتجاه القضية فهل بقي العرب أوفياء لفلسطين/القدس بعد نفي أهلها منها صحيح أنّ أم أوفي هجرت زوجها بعد أن تزوج عليها إلا أن الفلسطيني هُجِرَ منها كرها وغصبا ومع ذلك يبقى حنينه إلى وطنه يشده إلى تتبع كل أثر يتجه به إلى الوطن الأم.

تعمد الشاعر الإكثار من الأسئلة فجعلها ظاهرة تحتاج إلى الدراسة والتأويل من طرف المتلقي فهو يسأل أسئلة كثيرة ومتنوعة ولا يكاد ينتهي من سؤال حتى يخوض في آخر لأنّه يعكس واقع الحال المتأزم، والّذي تغيب فيه الشفافية وتنعدم فيه الرؤية الواضحة؛ فطبيعة السؤال الغموض ويطرح عادة للبحث عن حلول جادة والشاعر في هذا المقام يعلم أن هذه الأسئلة ليست تعجيزية إنّما هي استفزازية للإجابة والإقرار بالواقع المعاش لفلسطين وهذا التجاوب مع الأسئلة من طرف المتلقي يولد متعة في تفاعل مع النّصّ الشعري.

(2)-- المصدر نفسه، ص17.

(3)-- المصدر نفسه، ص15.

3-التكرار:

كما كان للتكرار بعض الكلمات دور هام في إيصال المعني وتأكيده من خلال تكراره في مواقع عدة منها: تكرار اسم العلم "أمّ أوفى": ذكرت مرتين في قوله:

واتْرُكْ نَزِيْفِي..وَحَاذِرْ أَنْ تُلَوِثَهُ يَوْمًا فَكَمْ حَضَرَتْ (أَوْفَى) وَمَا حَضَرُوا

هِي الضُحَى..أمُّ أوفى..لا تُطَاوِلهَا شَمْسٌ..وَلاَ تَدَّعِي زُوْراً..ولاَ تَزِرُ[1]

كما دلت عليها أيضا بعض الكلمات وهي: مطلقتي، فاعتذرت، عودتها (التاء تعود على أم أوفي) سيدة إلاكِ، أنتِ، هي...

ما نستشفه من هذا التكرار أنّ الشاعر متألم، وفي تكرار "أمّ أوفى" يجد سلواه في تعظيمها والتنويه بشأنها وفي هذا النّص أمّ أوفى لم تذكر لذاتها وإنّما ذكرت لصفاتها فوظف الشاعر اسمها لما يوحي به (اسمها) من قيم خالدة (الوفاء، الشجاعة، الكبرياء..)كما ينم هذا التكرار عن إلحاح الشاعر على إبقاء هذه الذات (التّي هي عبارة عن قيم) خالدة في أذهان ونفوس المتلقين.

من الألفاظ التّي تكررت في القصيدة نجد "يا حادي العيس" والتّي تكررت (5)خمس مرات في مواضع متعددة:

1- تَذْكُو الأَعَاصِيْرُ فِي صَدْرِي وَتَنْفَجِر يَا حَادِي العِيس غِيْلَ السَمْعُ والبَصَرُ

2- يا حَادِي العيس... !! هل مرّت قَوافِلُنَا يوما؟ وهل ضحكت في رملها العصر؟

3- يَا حَادِي العِيْس.. لاَ ذِي قَارٌ مَاثِلَةٌ ولاَ المُثَنى..ولاَ حَامِي الحِمَى عُمرُ

4- يا حادي العيس كم جرّحت ذاكرتي وكم تطاول في برديك مدّكرُ.. !!

5- يا حَادِي العِيْس..نَعْلِي لاَ تُطَاوِعُنِي أُغْرُبْ..وَإِلاَّ..!؟ فَلَنْ يُجْدِيْكَ مُؤْتَمَرٌ[1]

(1) - ابن الشاطئ، أبجدية المنفى والبندقية، ص17.

(1)- المصدر نفسه، ص17.

ومن المعلوم أنّ حادي العيس هو المؤنس للقافلة بصوته العذب، أما تكراره في هذه القصيدة فقد نحا منحى آخر وهو الاستهزاء بالرؤساء والحكام العرب الذّين لم يتجاوز حديثهم الدّندنة والطرب في تلك اللّقاءات الحافلة بأشياء وأشياء.

في الأبيات الأخيرة للقصيدة تتكرر لفظة "عادت" في ثلاث مواضع هي:

عَادَتْ إلى الوطَنِ المُحْتَلِ وَارِفَة تُجَسِدُ الزَّمَنَ الضَّاوِي..وَتَبْتَدِرُ

وفي قوله: عَادَتْ تَعِيْدُ إِلَى الثُّوَارِ هَيْبَتَهُم وَلاَ يُرَوعُهَا بَغْيٌ ولاَ خَطَرُ

وأيضا: عَادَتْ شُمُوخًا..وَأطْفَالي أَسِنَتُهَا وَلَنْ يُزَحْزِحَهَا الأرْهَابُ وَالنُّذُرُ... !![2]

والهدف من الانتقال نحو توجه جديد للقصيدة؛ هو العودة للمواجهة وشحن همم الثوار والوقوف في وجه المحتل الغاشم، فمن معاني العودة: الاستمرارية، الإقدام، الثقة.. بالإضافة إلى الاعتماد على اللّحمة الفلسطينية دون الاتكال على الحكام العرب الذّين استهزأ بهم من خلال توظيفه للفظة طويل العمر مرتين في القصيدة مصحوباً بنقاط الحذف وعلامات التعجب والاستفهام والّتي تحمل معاني الانفعال. يقول:

أ أنْتَ..أنْت طَوِيْلُ العُمْرِ..؟وا أسفي عَليْك..مَاذا جرى.؟ هَل يَنْحَنِي الشَجَرُ؟

ويقول:أُغْرُبْ بَعِيْدًا طَوِيْلَ العُمْرِ مُخْتَزِنًا زَيْفَ الشِعَارَاتِ، (عَامُ الفِيَلِ) مُقَتَّدِرٌ..!![3]

لقد وظف الشاعر التكرار لبعض الكلمات التي لها وقع كبير على المتلقي وهي تلخص القصيدة في هذه المحاور:

"أم أوفي" فتكراره لها " يعنى الوفاء ورغبة منه في عودة الوفاء العربي للقضية.

"حادي العيس" يمثل الحكام العرب الذين أصبحوا يعرفون بشعاراتهم الجوفاء.

"طويل العمر" الاستهزاء والتقليل من قيمة الحكام فهذه الكنية تحمل معنى مضاد فالشاعر يتمنى زوال أعمارهم فما جدوى بقاءهم إذا كانوا لا ينتصرون للقضية.

(2)- ابن الشاطئ، أبجدية المنفى والبندقية، ص18.

(3)-المصدر نفسه، ص17.

"عادت" تلخص الهدف الأساسي التي بنيت عليه القصيدة، فالشاعر يدعو لعودة المقاومة الداخلية ولهذا السبب منعت القصيدة من النشر، كما أنّه وظف هذه الكلمة وكررها في آخر القصيدة ليبعث برسالة إلى الحكام العرب بأنّ النصر سيكون من أعماق فلسطين سواء حضرتم أو تخليتم عن المشاركة، والانتفاضة مستمرة بكم أو بدونكم ولن تنتظر ميلاد مراسيم جديدة تدعو لنصرة القضية.

في الختام يظل المتلقي يسعى لإيجاد طرق مختلفة لولوج مكنونات النّصّ الشعري والتفاعل معه، وفي هذه القصيدة يمكن إجمال ما تحمله في طياتها ما يلي:

-دعوة الأمة العربية والإسلامية إلى دعم القضية الفلسطينية ومساندتها تماما كما فعلت أمّ أوفي.

-استفاقة الحكام العرب من سباتهم الذّي طال أمده، وهذه الحقيقة يستطيع المتلقي الوصول إليها من خلال الحذف والرمز الذي تفاعل معه فولد متعة في تلقي وتأويل النّصّ الشعري.

-إنّ القصائد الوطنية والسياسية تطرح ذاكرة الحضارة نفسها ويظهر التراث بحضور قوي من خلال الإشارات إلى أعلام كعمر بن الخطاب رضي الله عنه، والمثنى وأمّ أوفى وحادي العيس....

-عدم بوح القصيدة للكثير من الأمور بترك البياض، والفراغات، واستعمال التناص كانت كدعوة من الشاعر للمتلقي للمشاركة في القضية.

-استعمل الشاعر الكثير من علامات الوقف منها: علامة الاستفهام، علامة الانفعال مثل:"التعجب النداء" نقط الحذف، نقط التوتر.

قائمة المصادر والمراجع

- القرآن الكريم برواية ورش، دط، دار الإمام مالك للطباعة والنشر والتوزيع الجزائر، 2012.

-ابن الشاطئ، أبجدية المنفى والبندقية، ط1، إصدارات رابطة الإبداع الثقافية، الجزائر،2004.

-محمد مفتاح، تحليل الخطاب الشعري إستراتيجية التناص، ط3، المركز الثقافي العربي المغرب، 1992.

-محمد عزام، رواية القارئ، مجلة الموقف الأدبي،ع366، اتحاد الكتاب العرب دمشق، 2001م.

-محمد عزام، سلطة القارئ في الأدب، مجلة الموقف الأدبي، ع377، اتحاد الكتاب العرب بدمشق،2002.

-محمد جودت، تناصية الأنساق في الشعر العربي الحديث،ط1، عالم الكتب الحديث الأردن، 2011،

-عبد الناصر حسن محمد، نظرية التواصل قراءة النّص الأدبي، دط، المكتب المصري لتوزيع المطبوعات،القاهرة، 1999.

-سعيد يقطين، انفتاح النّصّ الروائي-النّصّ والسياق-،ط2، المركز الثقافي العربي، المغرب، 2001.

-فولفانج إيزر، فعل القراءة نظرية جمالية التجاوب في الأدب، دط ، ت حميد لحميداني، منشورات مكتبة المناهل المغرب، دت.

-ديوان زهير بن أبي سلمى:،دط، دار بيروت للطباعة والنشر، 1982